بيضة الفصح

أرسل الينا حضرة الاستاذ دمتري افندي جبرائيل خطاباً من القاهرة يسألنا فيه عن تاريخ بيضة الفصح واستعمالها عند المسيحيين في سائر أقطار الارض واننا تقبلنا سؤاله بالارتياح ونجيب حضرته بما يأتي :

لا توجد بقعة من بقاع الارض يقطنها مسيحيون الا ونجدهم في عيد الفصح يتهادون البيض وا كثرهم يتفاقسون به من باب التلاهي ولم تقتصر عادة التفاقس على المسيحيين فقط بل يتلاهى بها كثيرون من ملل أخرى .

ومن المتفق عليه أنه لا جديد تحت الشمس ولذلك فان البيضة التي لها المقام الاول في عيد الفصح ما هي إلا عادة من بقايا الاعصر العريقة في القدم . والاعتقاد بأن أصل الدنيا من البيضة قديم جداً أيضاً ومن ذلك ان الاساطير الهندوسية تقول ان العالم وجد من بيضة ذهبية كانت تعوم على محيط لاشاطىء له . والفرس الاقدمون كانوا يعتقدون ان المكونة كلها مع شمسها الذهبية المنيرة وقمرها اللامع الفضي تكونت من بيضة ولذلك كانوا يرسمونها في هياكلهم مصنوعة من معادن مختلفة وكانوا ينشدون لها الاناشيد في احتفالاتهم الدينية وفي شهر مارس شهر انتباه الطبيعة كانوا يتفاقسون بالبيض المصبوغ بصباغ احمر ويزينون به موائد طعامهم ويهدونه الى أصدقائهم وأقاربهم

ونجد أيضاً ان هيرودوتس المؤرخ الشهير ذكر ان أصل الدنيا من البيضة وقد كتب ما يأتي : « ان المكونة تكونت من بيضة الطائر فينكس المذكور في أساطير الاقدمين والذي عاش مئات من السنين وعندما حرقوها خرجت الارض من رمادها » ونجد مثل هذه العقيدة في تقاليد الفينقيين وأساطيرهم التي تقول انه في (كاليفالا) حيث كان القادر العظيم (فينيامينون) حامل البحر الذي لا شاطىء له شعر يوما ان نسرة نزلت على ركبتيه وبنت عليهما عشها وباضت بيضة ولما شعر بحرارة على رجليه هز فينيامينون رجليه فوقعت البيضة في البحر وانكسرت ومن هذه البيضة المكسورة خلق فينيامينون الشمس والقمر والنجوم وقال . ليكن نصف البيضة الاسفل الارض فكانت والنصف الاعلى السماء فكانت وأنت أيها الصفار أثر السماء فكانت الشمس

وأنت أيها البياض أطرد ظلمة الليل فكان القمر ولتكن الفضلات النجوم فكانت :

والاسوجيون يقولون انه في البيضة التي لا تدل ظواهرها على الحياة يستكن اصل الحياة ومصدرها اذا طرح قشرة الارض يرتفع الى السماء بشكل طائر

وتقول الاساطير الروسية القديمة : ان السماء والارض يشبهان البيضة أي ان القشرة تشبه السماء والبياض بمثابة الماء والصفار بمثابة الارض.

ومما تقدم يظهر ان البيضة كان لها شأن يذكر في أديان الوثنيين واتخذوها رمزاً لتجديد الطبيعة بعد نومها طول أيام الشتاء . وعلى هذا جرى المسيحيون الأولون ولكنهم رموا باستعمالها الى غير مارمى به الوثنيون فكانوا يستعملونها للزينة فقط في عيد الفصح .

البيضة هي رمز تجديد الروح والجسد والبعث ولذلك فان المسيحيين يستعملونها في يوم الفصح الذي هو يوم قيامة المسيح ويقظة الطبيعة ورمز رجاء الناس .

ان الكنيسة القبطية المسيحية في مصر اتخذت في أول عهد ظهورها بيضة النعامة شعاراً لدينها حيث رأت في البيضة رمز الخلاص فكما انه من البيضة تخرج حياة جديدة وهكذا فان المسيح قام للحياة الجديدة وقامت معه الانسانية كلها .

ويقول التقليد المسيحي ان مريم المجدلية أول من اتخذت البيضة رمزاً لقيامة المسيح ودخلت على طيباريوس قيصر وقدمت له بيضة حمراء وقالت له : كما انه من هذه البيضة المينة يخرج الفرخ الحي كذلك قام المسيح من الموت وبعد ذلك جعل المسيحيون يتهادون البيض في عيد الفصح . وكثيرون من الشعوب المختلفة يعتقدون اعتقادات مختلفة في قوة البيضة فبعضهم يقول ان بيضة الفصح المحفوظة أمام الايقونات في المنزل يحفظه من الصواعق . والبيضة الموضوعة في حظيرة البهائم تساعد على كثرة تناسلها والبيضة الموضوعة في الجيب تجلب الحظ للاعب فيربح ولا يخسر

ان الرحالة الشهير جون فوستير فريجير روى عن قوة البيضة السحرية التي يعتقد بها أهالي بلاد آسام وانه لا يمر حادث من حوادث الحياة في تلك البلاد إلا ويبصرون له بكسر البيض وقد يجلس جماعة من أهالي آسام ساعات متوالية يبصرون بالبيض ويشتد بينهم في خلال ذلك الخصام والنزاع ويعقب ذلك أنهم يضربون

الارض بالبيض ولا يزالون كذلك حتى تتكون أمامهم بحيرة من صفار وبياض البيض وتل من قشره

واذا أرادوا الوقوف على حالة مرض أو مصيبة فان الواحد منهم يمسك بيده بيضة ويخاطبها بقوله : أيتها البيضة ! انني انسان لا أعرف شيئاً ولا أستطيع أن أتكهن بشيء . أنت لك علاقة بالارواح وتستطيعين أن تكوني وسيطة بينها وبيننا. اخبرينا ماذا تفعل . قولي لنا من أرسل المرض لهذا الانسان واذا كان الشيطان في المنزل فدعي قشرتك تتجه الى الجهة الخارجية واذا كان الروح خارجا فدعي قشرتك تتجه الى الجهة الداخلية . وبعد هذا يبصق المبصر على البيضة ثم يأخذ قبضة من التراب ويغرك به البيضة ثم يعتذر لها بقوله : أنا لا أبصق عليك بقصد اهانتك بل لكي أنظفك ثم يدحرج البيضة وينظر الى أية جهة تتجه قشرتها كما تقدم .

وقبل ٥٠ أو ٦٠ سنة كان السحرة والرقاة في روسيا يستعملون البيض تارة للمعالجة وطوراً لتوجيه صواعق اللعنات على الاعداء

والآن فان زمن الخرافات قد زال وحل محله زمن العلم وتحكيم العقل ولا يقدم انسان متعلم على جعل حظه بين قشرتي البيضة ولكن البيضة مازالت في عيد الفصح ضيفاً مكرماً عند المسيحيين يتخذونها رمزاً للقيامة والتجديد .

والمسيح قام يا حضرات قرائنا الكرام من المسيحيين ودب دبيب الحياة في الطبيعة ولنستيقظ جميعاً ونهض لحياة المجد والصدق والخير والكمال وخدمة الوطن.

توفي أحد رؤساء المحاكم في فرنسا فاحتفل بتشييع جنازته رسمياً واشترك في تشييع الجنازة جماعة المحامين بأردينهم الرسمية وهم ولا شك عديدون وكان المتفرجون على مشهد الجنازة كثيرين فسألت امرأة رجلا كان واقفاً الى جانبها :

— معذرة ياسيدي إذا سألتك عن هؤلاء الذين يرتدون الثياب السوداء

— انهم ياسيدتي المحامون الذين كانوا ...

— أكل هؤلاء محامون ؟ أن أسرة الفقيد ستتكلف كثيراً في دفع أتعابهم